

﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ١١ رَمَضَانَ ١٤٤٢ هـ

عِبَادَ اللَّهِ: أَيَّامُ رَمَضَانَ مَأْتِرٌ لِعِزِّ الْأُمَّةِ الْمَعْقُودِ، وَأَمَلِهَا الْمَنْشُودِ، وَمَجْدِهَا التَّلِيدِ.

فَفِي هَذَا الشَّهْرِ مِنْ ثَانِي سِنِّي الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ فَرَضَ اللَّهُ ﷻ الْجِهَادَ عَلَى الْأُمَّةِ مَعَ افْتِرَاضِ شَعِيرَةِ الصِّيَامِ، فَكَانَ رَمَضَانُ مَوْسِمَ نَصْرِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى امْتِدَادِ التَّارِيخِ، حِينَ شَهِدَتْ أَيَّامُهُ الْخَالِدَةُ مَعَارِكَ خَاضَهَا الْمُسْلِمُونَ مَعَ الْأَعْدَاءِ عَلَى تَنَوُّعِ دِيَانَاتِهِمْ، وَاخْتِلَافِ أَقْطَارِهِمْ، وَتَفَاوُتِ عَدَدِهِمْ وَعُدَّتِهِمْ، أَكْرَمَ اللَّهُ ﷻ فِيهَا أَوْلِيَاءَهُ بِالنَّصْرِ الْمُبِينِ، فَكَانَتْ تِلْكَ الْمَعَارِكُ الرَّمَضَانِيَّةُ فَيَصِلُ فِي تَارِيخِ الْأُمَّةِ، وَنُقْطَةَ تَحْوُلٍ فِي مَسِيرَتِهَا، وَاتَّسَاعِ رُقْعَتِهَا، وَشَامَةِ فِي جَبِينِ عِزِّهَا، وَهَامَةِ هَيْبَتِهَا، وَهَاكَ هَذِهِ الْمَعَارِكُ.

الأولى: غَزْوَةُ بَدْرٍ. وَقَدْ نَصَرَ اللَّهُ فِيهِ نَبِيَّهُ ﷺ وَأَصْحَابَهُ الْكِرَامَ ﷺ عَلَى كُفَّارِ قُرَيْشٍ، مَعَ قِلَّةِ الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَذَلِكَ فِي السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ.

الثَّانِيَةُ: فَتْحُ مَكَّةَ. وَوَقَعَ ذَلِكَ لَمَّا انْتَهَكَتْ قُرَيْشُ الْهُدْنَةَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَلْحِ الْحُدَيْبِيَّةِ، فَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَيْشًا قِوَامُهُ عَشْرَةُ آلَافٍ مُقَاتِلٍ لِفَتْحِ مَكَّةَ، وَتَحَرَّكَ الْجَيْشُ حَتَّى وَصَلَ مَكَّةَ، فَدَخَلَهَا سِلْمًا بِدُونِ قِتَالٍ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ جِهَةِ الْقَائِدِ الْمُسْلِمِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، إِذْ حَاوَلَ بَعْضُ رِجَالِ قُرَيْشٍ بِقِيَادَةِ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ التَّصَدِّيَّ لِلْمُسْلِمِينَ، فَقَاتَلَهُمْ خَالِدٌ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، وَفَرَّ الْبَاقُونَ مِنْهُمْ، وَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَجُلَانِ. وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ مِنَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ.

الثالثة: موقعة البويب في الحيرة. وفيها انتصر المسلمون بقيادة القائد البطل المثنى بن حارثة على الفرس وكانت في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهي من المعارك الحاسمة في تاريخ المسلمين، وتضاهي يوم اليرموك؛ حيث انتشر المسلمون في بلاد الفرس، وكانت هذه الموقعة في الثاني عشر من رمضان من السنة الثالثة عشرة.

الرابعة: فتح بلاد الأندلس. وذلك على يد القائد البطل طارق بن زياد رضي الله عنه، وذلك في خلافة عبد الملك بن مروان رضي الله عنه، ونقل المسلمون بلاد الأندلس من التخلف والجهل إلى نور العلم وحضارة الإسلام، فصارت الأندلس رمزاً لحضارة الإسلام، في ذات الوقت الذي كانت مذنّباً في ظلام دامس من تخلف و جهل، بيد أنه بعد ذلك توالى هزائم المسلمين حتى كانت آخر المعارك معركة إشبيلية، وهزم المسلمون فيها شرّ هزيمة، وكان فتح الأندلس في الثامن والعشرين من رمضان سنة اثنتين وتسعين.

الخامسة: فتح بلاد الهند والسند. وذلك على يد القائد البطل الشّابّ محمد بن القاسم الثقفي الذي كان عمره حينئذ اثنتين وعشرين سنة، وكان هذا الفتح في السادس من رمضان سنة أربع وتسعين.

السادسة: فتح عمورية. وذلك على يدي الخليفة المعتصم بالله بن هارون الرشيد رضي الله عنه. وعمورية تقع في منطقة الأناضول بتركيا، وكان ذلك في السادس من رمضان عام ثلاثة وعشرين ومائتين.

السابعة: فتح مدينة سرقوسة. وتقع في جزيرة صقلية الأوربية. قال ابن الأثير رضي الله عنه في كتابه «الكامل في التاريخ» في وصف فتحها: وفي هذه السنة - يعني: سنة أربع وستين ومائتين -، رابع عشر رمضان، ملك المسلمون سرقوسة، وهي من أعظم مدين صقلية، وكان سبب ملكها أن جعفر بن محمد أمير صقلية غزاها، ... ونازل سرقوسة، وحصرها براً وبحراً، وملك بعض أرباضها،

وَوَصَلَتْ مَرَائِبُ الرُّومِ نَجْدَةً لَهَا، فَسَيَّرَ إِلَيْهَا أُسْطُولًا، فَأَصَابُوهَا، فَتَمَكَّنُوا حِينئذٍ مِنْ حَضْرِيهَا، وَأَقَامَ
العَسْكَرُ مُحَاصِرًا لَهَا تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، وَفُتِحَتْ، وَقُتِلَ مِنْ أَهْلِهَا عِدَّةٌ أُلُوفٍ، وَأُصِيبَ فِيهَا مِنَ الْغَنَائِمِ مَا لَمْ
يُصَبِّ بِمَدِينَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَنْجُ مِنْ رِجَالِهَا إِلَّا الشَّاذُّ الْفَذُّ.

الثَّامِنَةُ: تَحْرِيرُ مَدِينَةِ صَفَدِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ مِنْ قَبْضَةِ الرُّومِ. وَذَلِكَ عَلَى يَدِ الْقَائِدِ صَالِحِ الدِّينِ الْأَيُّوبِيِّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْعَشْرِ الْأَوْسَطِ مِنْ رَمَضَانَ عَامَ ثَلَاثَةِ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ.

التَّاسِعَةُ: مَعْرَكَةُ عَيْنِ جَالُوتَ. وَهِيَ مِنْ أَبْرَزِ الْمَعَارِكِ الْفَاصِلَةِ فِي التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ؛ إِذِ اسْتَطَاعَ
الْقَائِدُ الْبَطْلُ سَيْفُ الدِّينِ قُطْرُ الْإِحْقَاقِ أَوَّلَ هَزِيمَةٍ قَاسِيَةٍ بِجَيْشِ الْمَغُولِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْخَامِسِ
وَالْعَشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ عَامَ ثَمَانِيَّةٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّمِائَةٍ.

الْعَاشِرَةُ: فَتْحُ أَنْطَاكِيَّةَ بَعْدَ احْتِلَالِهَا إِحْدَى وَسَبْعِينَ سَنَةً، وَقَدْ سَطَرَ التَّارِيخُ الْإِسْلَامِيُّ مَوْقِفًا عَظِيمًا
لِبَطْلِ مِنَ الْأَبْطَالِ وَهُوَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بَيْرُوسُ، الَّذِي تَمَكَّنَ مِنَ الْإِنْتِصَارِ عَلَى الْفَرَنْجَةِ فِي أَنْطَاكِيَّةَ،
وَكَانَ ذَلِكَ فِي الرَّابِعِ مِنْ رَمَضَانَ عَامَ سِتَّةَ وَسِتِّينَ وَسِتِّمِائَةٍ.

الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ: فَتْحُ أَرْمِينِيَا الصُّغْرَى، وَالَّتِي تَقَعُ فِي الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ آسِيَا الصُّغْرَى، فَبَعْدَ أَنْ
تَعَافَتِ الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ مِنْ هَوْلِ الْإِكْتِسَاحِ الْمَغُولِيِّ، بَدَأَ الْحُكَّامُ الْمُسْلِمُونَ فِي إِدْرَاكِ خَطَرِ وُجُودِ
الْأَرْمَنِ عَلَى حُدُودِ الدَّوْلَةِ الشَّمَالِيَّةِ، فَخَطَّطُوا لِإِخْضَاعِهِمْ وَكَسَرُوا شَوْكَتَهُمْ، وَذَلِكَ فِي عَهْدِ السُّلْطَانِ
الظَّاهِرِ بَيْرُوسَ. وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ رَمَضَانَ عَامَ ثَلَاثَةِ وَسَبْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ.

الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: مَعْرَكَةُ شَقْحَبِ قُرْبِ دِمَشْقَ. وَفِيهَا كُسِرَتْ شَوْكَةُ التَّتَارِ، وَهَزِمُوا هَزِيمَةً مُنْكَرَةً، وَقَدْ

شَارَكَ فِي الْجِهَادِ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي الثَّانِي مِنْ رَمَضَانَ

عَامِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِمِائَةٍ.

الثَّلَاثَةَ عَشْرَةَ: تَحْطِيطُ الْجَيْشِ الْمِصْرِيِّ لِخَطِّ بَارْلَيْفَ، وَتَجَرُّعِ الْيَهُودِ هَزِيمَةً نَكَرَاءً. فَكَانَتْ هَذِهِ هِيَ
الْهَزِيمَةُ الْوَحِيدَةَ لِلْيَهُودِ فِي تَارِيخِنَا الْمُعَاصِرِ، وَذَلِكَ فِي الْعَاشِرِ مِنْ رَمَضَانَ عَامِ ثَلَاثَةٍ وَتِسْعِينَ بَعْدَ
الثَّلَاثِمِائَةِ وَالْأَلْفِ مِنَ الْهَجْرَةِ، الْمُوَافِقِ لِلْسَّادِسِ مِنْ أُكْتُوبَرِ عَامِ ثَلَاثَةٍ وَسَبْعِينَ بَعْدَ التَّسْعِمِائَةِ
وَالْأَلْفِ مِنَ الْمِيلَادِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ، وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، كَمَا أَخْبَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا أَخْرَجَهُ
التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ
ﷺ وَقَفَ عَلَى أَنَاسٍ جُلُوسٍ، فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ؟ قَالَ: فَسَكَتُوا، فَقَالَ ذَلِكَ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبَرْنَا بِخَيْرِنَا مِنْ شَرِّنَا، قَالَ: خَيْرِكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ،
وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرِّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ، وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ».

عِبَادَ اللهِ: هَلْ مِنْ خَيْرِيَّةِ الْعَبْدِ، وَأَمِنْ شَرِّهِ نَشْرُ الرُّعْبِ وَالتَّرْوِيعِ فِي أَوْسَاطِ الْمُجْتَمَعِ، بِتَفْجِيرِ
الْكِنَائِسِ، وَقَتْلِ السِّيَاحِ؟! لَا، إِنَّهُ إِفْسَادٌ عَظِيمٌ، وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، وَابْنُ مَاجَهَ، عَنْ
عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنْ رِيحَهَا تُوْجِدُ
مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا». وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنَ الْفُرُوضِ الْكِفَايَةِ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ
وَلِيِّ الْأَمْرِ، سِوَاءَ كَانَ بَرًّا أَمْ فَاجِرًا، عَدْلًا أَمْ جَائِرًا، هَذِهِ عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ، أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ
لَيْسَ هَكَذَا بَدُونِ وَلِيِّ، إِنَّمَا لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ رَايَةٍ مُمَيَّزَةٍ، وَوَلِيِّ أَمْرِ يَقُودُ النَّاسَ. وَوَلِيُّ أَمْرِ مُبَايَعٌ مِنَ النَّاسِ
وَمِنْ عَامَّةِ النَّاسِ، وَلَيْسَ مِنْ جَمَاعَةٍ مُعَيَّنَةٍ، وَلَيْسَ مِنْ دِينِ اللهِ فِي شَيْءٍ مَا تَقَوَّهَ بِهِ بَعْضُهُمْ، مِمَّنْ
يَتَسَبَّبُ إِلَى السَّلْفِيَّةِ كَذِبًا وَزُورًا، لَمَّا قَالَ: إِذَا أَسْقَطَ الْحُكَّامُ فُرُوضَ الْكِفَايَةِ فَإِنَّ الْجَمَاعَةَ مِنْ

الْجَمَاعَاتِ تَقُومُ بِهَذَا الْفَرْضِ. يَعْنِي تَجَاهِدُ بِلَا حَاكِمٍ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، مَعَ أَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ يَقُولُ بَعْدَ مِ لَآيَةِ حَاكِمِنَا، لَا هَذَا الْمَوْجُودِ، وَلَا الَّذِي قَبْلَهُ، وَلَا الَّذِي قَبْلَهُ، مَعَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»، فَلَا أَدْرِي وَاللَّهِ كَيْفَ يَفْهَمُ هَؤُلَاءِ؟! وَكَيْفَ يَسُوقُونَ مِثَاتٍ بَلْ آلَافًا مِنَ الشَّبَابِ كَالْقُطْعَانِ، وَيَتَّبِعُونَهُمْ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ الْفَاسِدِ، رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ» يَعْنِي: لِحَاكِمٍ مُسْلِمٍ، بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، «مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يُبَايِعُونَ وُلَاتَنَا، وَلَا يَسْمَعُونَ وَيُطِيعُونَ إِلَّا بِقَدْرِ الْمَصْلَحَةِ وَالْمَفْسَدَةِ، وَلَيْسَ فِي أَعْنَاقِهِمْ بَيْعَةٌ لِرِوَالِي الْأَمْرِ، وَيَدْعُونَ أَنَّهُ لَوْ أَسْقَطَ الْحَاكِمُ الْجِهَادَ فَلَا مَانِعَ أَنْ يَقُومُوا هُمْ بِجِهَادٍ مُسَلَّحٍ ضِدَّ الْأَعْدَاءِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَهَذَا مِنَ الْعَبَثِ، وَهَذَا مِنَ الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَعَنْ دِينِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَانْتَبَهُوا، انْتَبَهُوا يَا أَيُّهَا الشَّبَابُ، إِيَّاكُمْ أَنْ يَسْتَدْعِيَكُمْ أَحَدٌ لِهَذِهِ الْأَفْكَارِ الْمُنْحَرِفَةِ الْبَاطِلَةِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

عِبَادَ اللَّهِ: لَا بُدَّ أَنْ نَعِيشَ الْأَمَلَ وَالتَّفَاؤُلَ؛ مَعَ أَنَّ أُمَّتَنَا الْإِسْلَامِيَّةَ لَا تَزَالُ رَهِينَةَ الْمَآسِي وَالنَّكَبَاتِ، وَالشَّتَاتِ وَالْمِلْمَاتِ، فَجَسَدُهَا مُشَخَّنٌ بِالْجِرَاحِ، وَأَبْنَاؤُهَا يُعَانُونَ فِي مُخْتَلَفِ الْبُلْدَانِ بَعْدَ هَذِهِ الثَّوَرَاتِ، مِنْ دِمَائِهِمُ الْمُرَاقَةِ، وَأَشْلَائِهِمُ الْمُمَرَّقَةِ، مَا تَتَقَطَّعُ مِنْهُ الْأَكْبَادُ، وَتَحْزَنُ لَهُ الْقُلُوبُ، بَيَدَ أَنَّهُ مَعَ حَوَالِكِ الْكُرُوبِ، وَمَعَامِعِ الْخُطُوبِ، وَمُدْلَهَمَاتِ الدُّرُوبِ تَشْرَبُ نَفُوسُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى إِشْرَاقَاتِ النَّصْرِ، وَتَتَطَلَّعُ لِلْفَرَجِ، فَكَمْ مِنْ أُمَّةٍ قَوِيَتْ بَعْدَ ضَعْفٍ، وَنَهَضَتْ بَعْدَ خُمُودٍ.